

دراسة مقارنة في الشهادة والمقاومة بين الادبين العربي والفارسي
 أ.م. حسين ناظري الباحث. احمد محمدي نجادباشاكي
 الباحث. جليل حاجي بور طالبي

قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة فردوسي/ مشهد/ ايران

A Comparative Study Between Arabic and Persian Literature in Martyrdom and Resistance

Asst. Prof. Husain Nazery

Researcher Ahmad Muhammady Najadbashaki

Researcher Jaleel Haji Bor Talibi

Dept. of Arabic/ University of Firdosi/ Mashad/ Iran

a.mohamadi.np@gmail.com

Abstract

Martyrdom and resistance are mentioned in Both Arabic and Persian literature. The research aims at studying some poems about martyrdom chosen from both Arabic and Persian literature. The result of the study is

الملخص

ان قضية الشهيد والمقاومة قضية اعتني بها الادبان العربي والفارسي فتولى الشعراء في تلك الظروف الصعبة التي طرأت بعد الاحتلال، وذلك من خلال كلامهم الذي وصل الينا بشكل ابيات تحكي موقعهم في المقاومة. فهذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي-التحليلي تهدف الى دراسة الاشعار الممتازة للشعراء المعاصرين بين الادبين الفارسي والعربي والتي انشئت حول مفاهيم المقاومة والشهادة. فتوصل البحث الى ان الشجاعة من الصفات التي اتصفت بها الشهداء في اشعار الادبين، وقد تناول الشعراء محور الشهادة حيث اكد على قيمتها ومعانيها السامية. وقد أعطوا للشهيد صورة خالدة وشخصية ناثرة تسير بين الثوار، فالشهادة لديهم التنديد بالحرب والارهاب؛ هي خطوة علي درب الانتصار، ليس شعر الشهادة شعر الرثاء وتقديم العزاء الى ذويهم قط؛ بل هو أداة لإثارة النخوة والعزة في القلوب.

الكلمات المفتاحية: شعراء المعاصر، الشهيد، المقاومة، العربي، الفارسي.

المقدمة

والغرض من الادب الملتمزم هو توجيه المجتمع ودعوته باتجاه الحقيقة. «وظيفة الشعر هو النوعية الناس وتحفيزهم، أي الشعر طريقة معينة يلفت الانتباه إلى أي شيء، بل يشجع على التصور والداعي الى الوعي»¹ يلزم ان يتخذ الشعر في اعتلاء الناس، والشاعر هو الذي ينبغي شعره لغة المجتمع: «يجب الشعر أن يكون كلمة عصره يدل على زمانه ومجتمعه؛ الشعر ظاهرة بشرية وللشعر. والشعر يقودهم ويستنهضهم الى الحركة»² قال المؤلف الأدبي سارتر المؤلف كتاب "ما هو كتاب الأدب" اننا نريد ان سيخذ الادب وظيفته في تطور وتغيير المجتمع³ وأكد سارتر أن الهدف من الأدب الملتمزم هو الجهد والمقاومة.⁴

إذا كان المقاومة فرضاً شرعياً، فإن الاستشهاد ثمرة المعرفة اليقينية، فالذي يدفع المجاهد لان يبذل نفسه ويضحى دمه إيمانه العميق بان اداء هذا الواجب لن يضيع سدى، وانما اجره جزيل عند ربه «وَلَنُؤْتِيَنَّكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَنَّ اللَّهُ لَكَ لِمَنِ الْعَمَلُ»

1. ديجز، ديويدي، (1388)، اساليب نقد الادبي، ترجمة: محمد تقي صدقياني و غلامحسين يوسف، الطبعة السادسة، طهران: علمي للطباعة: 34.
 2. كاخي، مرتضى، (1387)، ابلغ من الصمت، طهران: آگاه للطباعة، الطبعة التاسعة: 44.
 3. نجفي، ابوالحسن، (1356)، دور الادب، طهران: مرواريد للطباعة: 54.
 4. سارتر، ژان بل، (1348)، ما الادب؟، ترجمه: ابوالحسن نجفي، طهران: كتاب الزمان للطباعة: 42.

وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ»¹ فالشهادة ليست مجرد موت يذهب بحياة الإنسان فيفقد معها الجسد الروح التي كانت تسكنه، وإنما هي رحمة ودعوة، وحرب على العدوان، وليس فيها ظلم ولا إرهاب، فيها تحفظ دماء المسلمين وغير المسلمين لأنها تدفع الظلم والبغي، وتكسر شوكة الكفر والطغيان، وتهدم مواخير الفساد والمفسدين، كما أنها في المقابل تؤسس دولة العدل والحق والحرية التي تحفظ حياة ودماء المستضعفين.

إن معاني العزة والكرامة والحرية لا تتجسد واقعاً في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم إلا إذا ابتليت، ومن أعظم الابتلاءات ظهور الأعداء الذين يغتصبون الأرض، ويعتدون على دين الله وعباد الله، وهنا يأتي دور المجاهدين تاج الوطن الذين يتحملون المسؤولية كاملة دون تردد، يقاومون بروح تحررت من كل قلق وخوف، فلحظة الموت عندهم هي الهدف، غدواً إلى العلا، وسمواً إلى الرفعة، وفوزاً بالنعيم المقيم.

أن شعر المقاومة المعاصر ساهم مساهمة مباشرة في إشعال نار الثورة، وأن الشعراء أخذوا دورهم في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم، واهتم الشعراء المعاصرون كاسلافهم بموضوع المقاومة والشهادة اهتماماً بالغاً وخاصة بعد اندلاع الحروب في البلاد الإسلامية، وأنهم من خلال شعرهم نشروا ثقافة المقاومة والجهاد، ووظفوا دماء الشهداء، ونزيف الجرحى، ومعاناة الأسرى، لإيقاظ المشاعر والأحاسيس، وأن شعرهم جاء معبراً بشكل جلي عن حالة مجتمعهم.

حاولنا من خلال هذه الورقة أن نبين هذا الموضوع من خلال المنهج الوصفي كي نبين موقف الشعراء بين الأدبيين في مفهوم الشهيد والمقاومة.

1-1 خلفية البحث

و من الدراسات المسبقة في الموضوع كتاب «الشهيد والشهادة في الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي» الذي قد كتبه عبدالرحمن علاوي الجبيلي وهذا الكتاب قد اهتم بالشهيد في الشعر مرتكزا على صدر الاسلام والعصر الاموي دون ان يعالج قصائد الشعراء المعاصرين. وكتاب «اندفاع نحو الشهادة» لمحمد علي آذرشب، وهذا الكتاب قد درس موضوع الشهيد والشهادة دراسة نظرية دون تطبيق على الادب.

2 تعريف الشهادة لغة واصطلاحاً

1-2 الشهيد في اللغة:

ورد في لسان العرب: حرف الدال، فصل الشين: شهد: حضر، وشهده: حضره، وقوم شهود أي حضور، وشهيد على وزن فاعل، وهي من أبنية المبالغة، والشهيد المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء، واستشهد، قتل شهيداً، وتشهد، طلب الشهادة، والشهيد حي، أي هو حي عند ربه.²

قال ابن فارس: الشين والهاء والدال، أصل يدل على حضور وعلم.³

وقال ابن الأنباري: سمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي(ص) على الأمم الخالية.⁴

2-2 الشهيد في الاصطلاح:

هو من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم، قبل انقضاء القتال، كأن قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم، أو عاد إليه سلاحه، أو تردى في بئر أو هدة أو رفسته دابته فمات، أو قتله مسلم باغٍ استعان به أهل الحرب.

1. آل عمران: 157.

2. ابن منظور، محمدين مكرم، لسان العرب، ج3، بيروت: دارصادر: 342.

3. أحمد ابن فارس ابن زكريا، أبو الحسين، (1994)، معجم المقاييس في اللغة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج3، 22.

4. الزبيدي، محمد، (1996)، تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج2، ص391.

وقال الكسائي: أشهد الرجل إذا استشهد في سبيل الله، فهو مشهد بفتح الهاء، وأنشد: أنا أقول سأموت مشهداً. قال الشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي(ص) من: المبطلون والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب وغيرهم، وسمي شهيداً لأن ملائكته شهود بالجنة، وقيل: لأنه حي لم يموت كأنه شاهد حاضر. وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهده، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك.¹

3 المقاومة والشهادة بين الأدبين العربي والفارسي

ادب المقاومة هو ادب قد امتلات صفحاته بذكر مقاومة الأبطال وتضحياتهم ولا سيما في الشعر الذي قدم صوراً من الشهادة والشهداء؛ قصائد كهذه تدل على مدى العناية التي أولاها الشعراء لتمجيد الشهداء وتخليد مآثرهم، حتى كانت أمنية بعض الشعراء الحصول على الشهادة²

هذه الشعراء قد تناولوا منهجين لعرض تصوير الشهيد:

المنهج الأول: التطرق الى موضوع الشهادة كقيمة والتحدث عنه دون نظر الى ذكر اسماء الشهداء أو شرح وقائعهم مما استلهم الشاعر فكره منها.

و المنهج الثاني: ان ينكب الشاعر على شهيد معروف ويتناول اعماله وشخصيته الطيبة.

نظرا لتوظيف موضوع الشهيد في قصائد شعراء الادبين هذا الدراسة تلقى ضوءاً عاماً على الشهيد في شعرهم ويعالج جوانبهم في ما يلي.

3-1 الشهادة والانتصار

كتب الله الجهاد على المسلمين، بل جعله ذروة سنام الإسلام، فبالجهاد يصون المسلم عرضه، ويحفظ كرامته، ويدافع عن حقه، ومن ثم يعيش المسلم سعيداً في دنياه تحت ظل رضا ربه، وسعيداً في آخره لأنه التزم أمر ربه، وانطلاقاً من عقيدة الجهاد عبر الشعراء عن أهميته وضرورته، فالشاعر خضر محمد ججوح في قصيدته (شريان التحدي) يرى الواقع يفرض نفسه، فيتغلغل في شرايينه، فيصرخ معبراً عن حرقة، وبصراحة وشجاعة ينذر نفسه متحدياً ليدفع آلام هذا الواقع، ولو كان ثمن ذلك روحه ودمه:

ولقد رأيت مصائباً ومكاندا	منها الخيانة تقطرُ
بيع الأراضي والسلام مع العدا	والسّم فينا ينخرُ
ولذا سافجر من دمائي طلقتي	والى العلّا أتسوّرُ
يا أهلنا هذي الحقائق كالنبيا	رق في السماء تُرمجرُ
شدوا على البارود شريان التّد	دّي وانفروا لتحرروا
ولتعلنوها للمهازل أنّنا	جَمّمَ تمورٌ تُفجّرُ ³

ترتبط الشهادة هنا بالموت الإيجابي، القائم على المدافعة مع سبق الإصرار والترصد، ومع الوعي الكامل بثمن المقاومة، حيث ترتبط الشهادة هنا بروح الفداية والإقدام والاستعداد البطولي للموت والاحتراق والتمزق رغبة في الوصول إلى حرية وكرامة وسيادة للحق. فالموت والدماء هنا مرتبطان بالصعود إلى المعالي، لأن القرار يتخذه الإنسان الفلسطيني الذي ملّ من التردد وانتظار النصر، إنها الشهادة المحرّضة للآخرين. يتناول هذا المفهوم قيصر امين پور في قصيدته:

1. عبد البديع، عراق، (2002)، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، عكا: مؤسسة الأسوار، ط.1، ج.1: 10-11.

2. مصطفى، خالد علي، (1986)، الشعر الفلسطيني الحديث، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، ط.2: 39.

3. محمد ججوح، خضر، (1997)، صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات: 56.

شمشير به آسمان رساندند/ ماندند به عهد خویش رفتند/ رفتند ولي هميشه ماندند¹
الشاعر يتناول ويتكلم من جماعة صارت يد واحد ولا يحزنه من سبيل الذي يخطوه وله هدف عالٍ ولذلك ينتظر
النصرة.

وكان الانتشار المكثف للمفردات الدالة على الشهادة عند سميح القاسم فضلا عن تأثيره على الجانب الفني والشكلي
لأشعاره يساعده على خلق عالم شعري يغطي تفكراته المتمرد؛ فجزته العناية بالموت والشهادة إلى ما يدنو منه مثل الليل،
والأسمح، حيث كان الليل هنا رمز السواد والظلم وطوله يعني امتداد الإضطهاد ومثل الشهداء ودمهم الذي يشرق مثل الشمس:
ولينهض المدثرون بشارة الموت فيها حكمة ومعلم
ربخت علينا العاديات وفرخت والطيل، طال الليل طال الأسحم
ولكل فجر شمس وفجرنا شمس من الشهداء يشعلها الدم²

يسري الدم في الأوردة والشرابين وينشر مكونات الحياة البشرية في الخلايا وإن ينقطع ذلك عن الجسم يفقد الجسم
حرارته وحيويته ويسفر ذلك عن مفارقة الحياة؛ فينظر سميح القاسم بحس مرهف إلى هذا السائل الحيوي المراق من دم الشهداء
ويصور به أعتى وسائل الدمار والقتل على إعطاهم مكانة يستحقها؛ إذ كان الدم عند الشاعر رمز الفداء ونيراس الحرية وليس
دما عاديا بل دم مراق من بطل يضحي بنفسه ليؤمن من يلحقه؛ فكان البطل شمسا تحظى برمزية الظهور، والأمن، والطمأنينة
غير أنها أضاعت ميزتها الإيجابية هذه ولم تبق فيها معالم من الإصفرار والطلوع بل امتزجت بالحمرة المستقاة من الدم وهي
صورة تتناول نهاية الزوال.

أما الشاعر كمال غنيم فيرى أنه يجب التمسك بفريضة الجهاد لدحر يهود عن الأرض الفلسطينية، فمعركتنا مع يهود
معركة عزة وكرامة:

واسأل حجارة بلدي ورمالها... عما رأيت من فتية القرآن
شهدت معارك عزة وكرامة... طربت لها الأفاق في استحسان
نادى المنادي للجهاد تحركوا... جاءت جحافل كفرهم لطعان
جاءت جحافلهم فهبوا جاهدوا... إن الجهاد فريضة الديان
فلتقبلوا صوب المنايا رغبة... إن الشهادة منهل الظمان³

ويرى في الشهادة مدخلا لنصر من نوع آخر، يتمثل في انتصار الذات بالحصول على الجنة وما فيها من خيرات، حيث
تستقبله جموع الملائكة وسيد الشهداء حمزة، ويتزين بتاج الوقار، وتحفل به الحور العين، ويكون الجزاء الأكبر في اللقاء مع الله
والحوار الإيماني الرائع الذي ينتهي بحسرة الشهيد وحزنه لعدم تمكنه من العودة إلى الأرض ليقتل في سبيل الله مرة أخرى. ذكر
الشخصية في القصيدة، من جهة يرتبط في موضوع "استدعاء الشخصيات" ومن ناحية أخرى، يرتبط في موضوع "قناع" أن
استعملت كلا من المصطلحات المستخدمة في النقد الأدبي الحديث. قد يدعو الشاعر هذه الشخصيات ويتحدث معهم لان
استدعاء الشخصيات لديه اثر في تعبير عن الكلام تأثيرا كثيرا.
يقدم الشاعر مع اجراء هذا العمل أصحابه وو من جهة الآخر في كلمته التي تنبثق من وجهات نظره القوية يعطي بعد
الجديدة، وهذا الكلام يصبح قيمها اللفظية والمعنوية أكثر وأكثر فعالية.

1. امين بور، قيصير، (1968)، تنفس الصبح، تهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 41.
2. القاسم، سميح، (1993م)، الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم، الكويت: دار سعاد الصباح، ج2، ص414.
3. غنيم، كمال، (1994)، شروخ في جدار الصمت، رسالة شهيد، غزة: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع: 33-34.

وفي هذا القصيدة يصبح حمزة مثالا او تمثالا للشجاعة الذي يجسم في الإيمان والشجاعة والقوة والتعبير عن الذات لديه.

يرى الشاعر شهريار طريق الشهادة طريق اميرالمومنين واصحابه الخُص:

سلام اي جنگجويان دلاور نهنگانی به خاک وخون شناور

سلام اي صخره های صف کشیده به پیش تانک های کوه پیکر

صف جنگ وجهاد صدر اسلام صف عمار یاسر، مالک اشتر

به قرآن وصف او بنیان مرصوص صف مولا علی، سردار صفدر¹

يرتبط الشاعر بين كلمات «الصخرة، صف الطويل، دبابات الضخم» ويرسم لنا علاوة على انسجام بين هذه التعبيرات يتمثل لنا صورة من معركة يتزينها للعيون ان يشاهد هذه الصورة التي جموع المواطنين يتجلون كصخور صلبة لايشعرون بضعف امام الدبابات وهذا مدخلٌ لنصر الوطن.

ولقد يرى الشاعر أبو النصر التميمي الشهداء هو الشرفاء الذين نالوا شرف الشهادة، وهذا يكفيهم (نسورنا قد كمت أفواهها) و(الببلل الصداح كبل شدوه)، فبعد أن استشهدوا تركوا فراغًا كبيرًا، رغم أنهم ورثوا أمانة المقاومة لرجال أشداء مستعدين لمواصلة المسيرة لنصرة الحق²

الشاعر يعشق الشهادة كما يعشق أرض الوطن، لذلك كانت روحه ترنو للوصول إليها بكل الوسائل، يقول وهو في منفاه:

حلمنا معنا، ولكن بقاينا هناك/ ومنا لا زال فينا،/ وشظاينا هناك/ في انتظار الانفجار³

ثم نرى الشاعر يحدثنا عن يوم التحدي الذي لبس فيه جميع مبعدي مرج الزهور أكفانهم البيضاء متجهين نحو الحدود اللبنانية الإسرائيلية، قاصدين البوابة التي يدخلون منها إلى فلسطين، لكن العدو الصهيوني عاجلهم بالرصاص والغاز المسيل للدموع، يصف لنا الشاعر هذا الموقف حيث يقول:

حملتنا من بقاينا العواصف../ فامتشقنا جرحنا الأخضر../ لملمنا دمانا من شرايين الصخور/ وتقدمنا ..تحدينا: قصفونا../ ها هو الآن شهيد/ يرتقي نحو الأعالي../ اقصفونا../ دائما في قصفكم سوف نزيد/ آثم من قال: نفسي/ آثم من قال: جرحي/ عزلّ نحن نحامي عن بقاينا/ وحق الموت في أرض الجود/⁴

كان مبعود مرج الزهور أمام خيارين: الأول العودة إلى الوطن، والخيار الثاني الاستشهاد، فقد رفضوا النفي والإبعاد جملة وتفصيلا، فنجحوا بإصرارهم وتحديهم، فكان لهم ما أرادوا حيث عادوا إلى أرض الوطن مرفوعي الرأس منتصرين، وقد أغلقوا ملف النفي والإبعاد.

ثم الشاعر في قصيدته(عن الفارس) يؤكد أنه سيعود إلى حيفا ولو كلفه ذلك الدم أو الشهادة:

أجئ إليك..

أعصف في حضور الصمت..

أنزف في حضور الموت..

أرسم بالدم الكلمة

ليورق صوتك الباقي

على قلبي

1. صحيفة الإطلاعات، الثلاثاء 27 ذي القعدة 1435- 23 سبتمبر 2014، الرقم: 25978.

2. التميمي، أبو النصر، (1994)، ديوان أوفياء الكروم: 53.

3. محجز، خضر، (1995)، اشتعالات على حافة الأرض، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين:30.

4. (نفسه: 37-38)

وأوراق

ويولد فارس الخيم¹

الشاعر يريد تحطيم حرقه المنفى، ليعود إلى الوطن بسرعة حتى لو (اجتاز اختبار الموت) فقضى شهيداً، أو (نزع في حضور الموت)، فالموت عنده شهادة، والشهادة شرف وانتصار، هو يريد أن يوصل رسالته التي كتبها بالدم (أرسم بالدم الكلمة) والتي فحواها أنه لا بديل عن الوطن، وستأتي هذه الرسالة ثمارها (اليورق صوتك الباقي على قلبي وأوراق، ويولد فارس الخيمة).

اما الشاعر قيصر امين پور في قصيدته يمثل الشهيد بالوردة:

شهادت لاله ها را چيدينى كرد به چشم دل خدا را ديدينى كرد

ببوس اى خواهرم قلب برادر شهادت سنگ را بوسيدنى كرد²

يرى الشاعر الشهادة الشرف والطيبة وستأتي ثمارها ليعز عند الله وعند الناس وحتى الارض التي فيه دفنت اثرت من انتصاره امام الاعداء ويطيب قبرها. او في ابيات اخرى:

چه شهيدى كه گل ولاله ونسرين يكجا/ به خزان خفته ي آن نرگس مدهوش باد³

بدا الشاعر قصيدته مع الصفة التعجبية "ماذا" وبهذا المنهج يعز شهيد على الزهور الاخرى واثار الزهور وهناك مناسبة بين الوردة والزنبق و... ونظن أن الشاعر يرى الزهور الضعفاء أمام رتبة الشهيد وتذبل امام جماله.

يرى الشاعر حسن ارباب هذا بوجه آخر:

اى روشناى خانه ي اميد اى شهيد..... اى معنى حماسه جاويد اى شهيد⁴

يرتبط الشاعر بتأثير دم الشهيد بالامل الجديد وهذا يعني الانتصار الرئيسي. تمثل الشاعرة سبيدة كاشاني الشهيد بالوردة في زواله مبكراً:

سحر شكفتى وبر اوج عرش لانه گرتى.....غروب، شعله كشان در شفق زبانه گرتى

ز دامن صحرا چو گردباد، گذشتى.....گهي به خلوت خورشيد آشيانه گرتى⁵

ولكن تشوف هذا العمر الصغير وسرعة زواله مع الشرف وكلها سبب خلوده وانتصار الطريق التي يتخذها.

يتناول قيصر امين پور في قصيدته من انكسار عظام الشهيد في معركة ولكن ليس الانكسار يهدو من ياسه بل يهدو

لانتصاره وعزته في معركة ويسرد هذا الايثار في الابيات:

من از او بوى خودسوزى شنيدم.....حديث عشق آموزى شنيدم

ز آهنگ شكست استخوانش.....صدای پای پيروى شنيدم⁶

الايثار وفدائه لمواطنه جعل منه اسطورة اما يبدو بصورة الاساطير المعروفة في الحرب مثلاً يتناول باسم حسين فهميدة

ويكون فيها الاستعمال الرمزي وخلق الجمالي:

تو همچون غنچه هاى چيده بودى.....كه در پيرى شدن خنديده بودى

مگر راه حيات جاودان را.....تو از فهميده ها فهميده بودى⁷

1. الهيجاوي، باسم، (1992)، ليالي الدم والسوسن، دون. ط:45)

2. امين پور، قيصر، (1968)، تنفس الصبح، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 46.

3. شهریار. 9731. الديوان. الطبعة 21. طهران: زرین ونگاه للطباعة: 1184.

4. ارباب، محمد حسن، (1376)، الملامح الثابتة، سورة: 77.

5. كاشاني، سبيده، (1373)، ربيع الزاهرة، من مجموعة خطاب المؤلف، وزارة الثقافة الايرانية: 98.

6. امين پور، قيصر، (1968)، تنفس صبح، تهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية، 168.

7. ثقيي، طاهر، (1385)، شعر المقاومة، صحيفة رسالت 5893، التاريخ 85/3/31.

وصارت انتصاره خلوده في الازدهان وترسم لنا صورة مع الامل والشرف.

3-2 الشهيد واثر دمه

عندما تشتعل الثورة في قلب الشاعر، لا يجد أمامه - ليعبر عنها - سوى الأحاسيس والمشاعر، ومن ثم يترجمها إلى صوت مسموع من خلال نظمه للشعر، وتعدّ دماء الشهداء وآلام الجرحى والأسرى وعذابات ومعاناة الناس هي وقود هذه الثورة التي تطالب بالحرية والاستقلال، حيث يعلن فيها أنه ثابت على أرضه كالجبل الأشم، ويرى أن المقاومة هي السبيل الوحيد لدفع هذه الظروف ورفضها يقول، الشاعر:

ربما أفقد - ما شئت - معاشي

ربما أعمل حجازاً - وعتلاً - وكئاس شوارع

ربما

ربما تسلبني آخر شبر من ترابي

يا عدو الشمس - لكن ... لن أساوم

وإلى آخر نبض في عروقي ... سأقاوم¹

نلاحظ أن شعر المقاومة ساهم مساهمة مباشرة في إشعال نار الثورة، وأن الشعراء من خلال شعرهم نشروا ثقافة المقاومة والجهد، ووظفوا دماء الشهداء، ونزيف الجرحى، ومعاناة الأسرى، لإيقاظ المشاعر والأحاسيس، وأن شعرهم جاء معبراً بشكل جلي عن الحالة الفلسطينية.

الشاعرة فدوى طوقان صورت لنا كفاح ابن عمها (حمزة) مرفوع الرأس، عالي الجبين، أمام العدو الصهيوني، حين هدموا داره، فلم يضعف، بل بقي راسخاً في أرضه كالجبل الأشم:

قال لي حين التقينا ذات يوم

وأنا أخبط في تيه الهزيمة

اصمدي، لا تضعفي يا ابنة عمي

هذه الأرض التي تحصدها

نار الجريمة

والتي تتكشم اليوم بحزن وسكوت

هذه الأرض سيبقي

قلبها المغدور حياً لا يموت²

فرغم الجريمة التي ارتكبتها الأعداء، والتي أشعلت نار الأحرار والآلام على فقدان الشهداء، فقد ربطت الشاعرة بين الأرض ذات القلب المغدور وبين الشهداء الذين رويوا بدمائهم الزكية ثراها، فهي تتكشم وتحزن وتسكت إجلالاً لهذه الدماء الطاهرة التي بعثت في كل حبة رمل من هذه الأرض الحياة من جديد، حتى أصبحت قمة في الصلابة، وآية في الصمود، وأسطورة في دفع الأعداء، فسيبقي قلبها المغدور حياً لا يموت.

حاول الشاعر شهريار هذا الفكر في أبياته ويعدّ دماء الشهداء زهوراً صورت صورة الربيع في خزان الوطن: جوانه هاى شهيدان شكوفه زاراند به اين خزانزدگی، سرگل بهارانند³

1. يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر، 88-89.
2. طوقان، فدوى، (1978)، الأعمال الكاملة (قصيدة حمزة)، بيروت: دار العودة: (542)
3. شهريار. 9731. الديوان. الطبعة 21. طهران: زرین ونگاه للطباعة: 1160.

ربط الشاعر في البيت تناسبا معنويا بين كلمات «برعم، الزهرة، الشهداء، الخريف والربيع» التعابير التي كلها يجلو امام القارئ ويتردد صورة الربيع والخريف في ذهنه ويرسم اللون الخضراء بين الحمراء ويبعث في كل ارجاء الوطن حياة جديدة بعد ان صارت اوراقها مصفرة.

وتتكرر المعاني الشاعر خضر محمد ججوح في القصيدة التالية داعياً للصمود، والقتال، والمقاومة:

لتعلو الكتائب...تسمو

على الأفق نازًا ونورًا...مشاعل

براكين مجدٍ وثأرٍ...زلزل

وترعد...تبرق

تشرق تورق

تتبت في الصخر جيلا جديداً يقاتل

أبياً فريداً...يجاهد، يبقى يصول

وتعلن بالدم ميلاد شعبٍ

تعاهد في الله ألا يساوم

وأقسم: يبقى يقاوم...يبقى يقاوم¹

الشاعر خضر ججوح يحدد طريق الخلاص والتحرير وذلك بمواجهة العدو (حتى نذيق العدو وبال المصير) وستبلغ المواجهة مداها فيكون الشهداء، دماؤهم هي الوقود وجراحهم هي الشموع، وسيتحول جو المعركة إلى (نار ونور ومشاعل) وإلى (براكين مجد وثأر... زلزل)، وستؤتي هذه المقاومة ثمارها الذي تورثه للأجيال (تتبت في الصخر جيلا جديداً يقاتل)، وليس كأبي جيل، وإنما (أبياً فريداً... يجاهد، يبقى يصول)، فالمقاومة هي التي توحد صفوف الشعب، وتجعله يستعصي على الانكسار أو يتنازل عن حقوقه الشرعية (وتعلن بالدم ميلاد شعب تعاهد في الله ألا يساوم، بل يبقى يقاوم)

الشاعر امين پور في قصيدته «جان تو دوباره جامه ای تازه گرفت/ وزخون تو این کتاب، شیرازه گرفت/ پیراهن تازه تو را می باید/ با قامت آفتاب اندازه گرفت»²، يسمى رداء الجديد «الملابس الجديدة» لتسمية الشهادة موكدا عليه بكلمة «دوباره»، معبرا عنها بحياة الجديدة التي تبلغ سيمفونية حرته حتى شعاع الشمس. اختار الشاعر المعني نفسه في قصيدة أخرى: «ديدار تو را به شوق خواهم كشيد/ چون جامه تازه ایت خواهم پوشيد/ گر آتش صد هزار دوزخ باشی/ ای مرگ! تو را چو آب خواهم نوشيد»³

يقر الشاعر يوسف المحمود بأن نهاية الشهيد ولادة جديدة، ويبعث واستنهاض للأحياء:

هو لم يمّت

لم يقتلوا فيه الحياة

الآن يصعد مرة أخرى

على فرس الحنين

بيديه يبتهل الفرح

للشمس والفجر الجديد وللحياة⁴

1. محمد ججوح، خضر، (1997)، صهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات: 86.
2. امين پور، قيصير، (1968)، تنفس الصبح، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية: 51.
3. نفسه: 37.
4. المحمود، يوسف، (1989)، ز غاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 19.

ففقور الشهداء تصبح ألغامًا تتفجر بالعدو، ذلك أن الشهداء تتكاثر طاقاتهم من خلال اندفاع الكثيرين للسير على نهجهم والانتقام ممن ظلمهم.

أما الشاعر نزار قباني في شعره سميتك الجنوب فيرى أن الشهادة ميلاد جديد لحياة سعيدة لا يعرف العبودية أو الاغتصاب، ويشبه الشهادة (وردة الحرية)، يقول:

يا أيُّها المغسولُ في دمانه كالوردةِ الجُوريَّةِ
أنتَ الذي أعطيتنا شهادةَ الميلادِ
ووردةَ الحرِّيَّةِ ..

وحينما تتقاطع الشهادة مع العبودية والاعتصاب وتتوازي مع جميع الحريات تبلغ الشهادة أقصى مراتب الحرية. ولو انتقلنا إلى الشاعر ابراهيم طوقان، فسنجد أنه جعل دم الشهيد كوكب الهدى يحمل ضوء تحت على الجهاد، وترفع الدموع والحداد:

لا تَقُلْ أَيْنَ جِسْمُهُ واسمُهُ في قَمِ الزَّمَنِ
إنَّه كوكبُ الهدى لآخَ في غِيَهَبِ المَحَنِ
أرسلَ النُّورَ في العيونِ فما تَعْرِفُ الوَسْنَ
و رَمَى النَّارَ في القلوبِ فما تَعْرِفُ الضَّغْنَ¹

يعطي الشاعر سليمان العيسى علي لدم الشهيد قدسية خاصة، فهو الذي روى البلاد، ثم جعله يصيح بصوت مجلجل حي على الجهاد إيماناً بفعالية هذه الطريق وصحة نتائجها.

اقرأ عليهم سورة الفتح التي بيعت، فدفقةً وهجها ظلماءُ
اقرأ علينا من دمانك آيةً تهدر بغير دمارنا الأصدا
اقرأ علينا باسم ربك، باسمنا باسم العروبة...كلُّنا إصغاء²

ورغم السياسة التعسفية التي يمارسها الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني: سياسة الحصار، والتجوع، والتهديد، والتدمير، والتعذيب، إلا أن الشعب الفلسطيني حافظ على بنيانه وكيانه، بل ازداد صلابة وتحدياً، فأسطورة الفلسطيني (الفقير) التي سجلها أحمد دحبور في قصيدته (الفهد ينشر أسرار) وقد نسجها بمناسبة استشهاد قائد عملية الخالصة (فؤاد زيدان) ورفاقه الثلاثة – توضح مدى هذا التحدي، يقول:

ولعصفورة الفهد موعدها،
يتقدم وعل،
فيأتي الثلاثة في موكب الفقراء
وتنهض زنبقة في مدار أسير
يصافحها الواصلون فينهدم الأسر
والأرض تخضر
تخضر تخضر حتى تحاذي السماء³

1. طوقان، فدوى، (1978)، الأعمال الكاملة (قصيدة حمزة)، بيروت: دار العودة، 271.
2. عيسى، سليمان، (1980)، الأعمال الكاملة، بيروت: دار الشورى، چاپ اول، ج: 2، 620.
3. يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر: 152-1251.

لقد حدد الشاعر السبيل الموصل إلى الوطن من خلال ما سار عليه شهداء الخالصة الثلاثة، حيث أنهم استطاعوا تحقيق أمنيتهم وآمالهم، وذلك تعطرت عندما الأرض بدمائهم الزكية التي امتزجت بذرات ترابها، فاحضرت وتحولت إلى زنابق يصفاحها الواصلون، وبذلك تكسرت أمامهم كل الحواجز والموانع والسدود.

يرى الشاعر ماجد الدجاني أن الوطن محفور في قلوب الفلسطينيين، وأرادوا أن يعبروا عن عشقهم لهذا الوطن، فنظروا إلى الأعالي حيث النجوم، فعزموا على أن يسطروا أمجادهم بفدائهم ودمائهم عليها وفاء لهذا الوطن:

صباح الخير يا وطنًا تسامى

على الأمجاد أبدع في الفداء

فخط على النجوم سطور مجد

وملء دواته نزف الدماء

والشهيد في نظر الشاعر يوسف المحمود صامد، صابر، مبتسم أمام طلقات النيران، يبقى متمسكًا بأرضه حتى آخر

نفس:

صادته أنياب الرصاص فابتسم

ما قال آه..

لما تفجر في دمه

شوك الألم

حضر التراب...

وقبل الأرض الحبيبة

ثم غنى للبيادر

والسهول

وللروابي

والقمم¹

ويغيب جسد الشهيد عن الأنظار، وتبقى روحه تسري في شرايين الأحياء، هو مات على الثورة، وكفن نفسه بثوب الوطنية، وقبل بتراب الأرض الغالي ليكون غطاءه:

وعيون تتحدث عن هذا المتوهج في القلب

شهيدًا وشديدًا

ضد الغيلان،

فتيًا وقويًا

ضد قراصنة الأرض، لصوص الإنسان

على الدرب، مضى

وعلى الدرب، قضى

بطلا، مثلاً

لم يخلع ثوب الوطنية

لم يلبس غير تراب الأرض

1. المحمود، يوسف، (1989)، ز غاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 73، 72.

ولم يشرب

إلا من حفنة كفيه

وقد روى من ماء الروح جميع الناس

زلالا وحلالا

حتى مات على الثورة

إنه الوطن الذي علم النفوس عشق الحياة، وغرس في الأرواح نور الأمل، فلولا ما كان للحياة طعم، ولا فيها لذة، إنه الوطن الذي وحد الأرواح، وأرسى معاني التماهي والتماصك، ومن أجله تتدلع الثورة، وتنتفض الشعوب، ويعم الغضب، ومن هنا كان جدير بالشعراء أن يتغنوا به، وحقاً للشهداء أن يبذلوا دماءهم رخيصة للدفاع عنه.

فالشهداء هم المشعل الذي ينير لنا السبيل لحماية أوطاننا من المحتلين، وهم الفداء لأنهم يجودون بدمائهم الزكية، وأرواحهم الطاهرة ثمناً لحريتنا وكرامتنا ورفع شأننا، وهم الذين يبعثون في نفوس الأحياء روح التضحية والأمل ليصونوا شرف الأمة، وتراث الوطن، وأمجاد الأجداد.

في قصيدة بعنوان (لن يتوقف الجريان) يمجّد الشاعر ماجد الدجاني روح الشهيد (عثمان البرهم) الذي استشهد في شهر رمضان وهو صائم في مجزرة صهيونية داخل الحرم الإبراهيمي، وقد جمع الشهيد أجوراً متعددة أثناء استشهاده، فهو الصائم القائم المرابط الشهيد:

مجد الشهادة فوق كل بلاغة

وأمام مجدك تتحني الأوزان

طوبى لمن نال الشهادة صائماً

وله سيشهد شافعاً رمضان

روح وريحان وفيض كرامة

نزل الشهيد وأنهر وجنان

عثمان جسدت النضال حقيقة

لا بالكلام... ويشهد الميدان¹

يقر الشاعر بأن نهاية الشهيد ولادة جديدة، وبعث واستنهاض للأحياء:

هو لم يمّت

لم يقتلوا فيه الحياة

الآن يصعد مرة أخرى

على فرس الحنين

بيديه يبتهل الفرح

للشمس والفجر الجديد وللحياة²

يقول الشهيد الدكتور ابراهيم المقادمة في الشهيد الذي فجر نفسه في أعداء وطنه ودينه وأمته:

وتبسم

أشعل النور وسافر

1. ماجد الدجاني، قمر على شباكنا، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1999، ط 1: ص 49.

2. المحمود، يوسف، (1989)، زغاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين: 19.

وغدت أشلاؤه لما تتأثر

لقوافل الشهدا منائر

قذف النار جحيماً في قلوب لا تلبين

ورمى النور ضياء في قلوب العاشقين¹

إن الشهادة في خطاب الشاعر المقادمة نور وضياء وحياة لمن يعشقون النور والحياة الكريمة ونار وجحيم على المحتلين والطغاة المجرمين، وهي التي تدفع المجاهد أن يمزق الأثنية ويظهر نفسه منها، ويلبس تاج الإيثار، فيتجرد من الشهوات الدنيوية، ويعمل من أجل الآخرين، فيضحي ويضحي في سبيل الدين والكرامة، وبذلك يكون قد وصل إلى قمة الإيمان بامتثاله لأوامر الله.

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد:

لغة الثأر دواء

أنت من أرض سقتها بالدماء الشهداء

يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء

سر، تقدم، ثابت الخطو فقد حان الفداء

سر معي، فالوطن الحر تلاقت فيه أصداء النداء

كلهم ساروا أماماً، وأماماً، لا وراء

سر معي في الركب يا صاح فقد لاح الرجاء²

يستثير الشاعر هارون هاشم رشيد المتلقي بقوله (لغة الثأر دواء)، ويستنفر الشباب مستخدماً فعل الأمر (سر، تقدم)، والخطاب المباشر (أنت من أرض سقتها بالدماء والشهداء) ثم بأسلوب النداء (يا سليل النصر والفتح، ويا نسل الوفاء)، ثم يطلب منهم مراراً أن يسيروا معه بخطاً ثابتة (فقد حان الفداء)، وأن يسيروا معه في الركب (فقد لاح الرجاء)، وأن يسيروا إلى الأمام لا إلى الوراء.

وتظهر ثقافة الاستشهاد جلية في شعر محمود مفلح، فهو يرى طريق الجهاد طويلاً وشاقاً، لكنه قدر يجب الصبر عليه، ثم يبين أن الجهاد قد ينتهي بالمجاهد إلى الاستشهاد فينال الشرف العظيم، يقول:

كفكف دموعك فالطريق طويلاً

درب الشهادة قاتل وقتيل

قدر بأن نلقى القذائف عزلاً

ونلوكمر الصبر وهو جميل

ونواجه الطاغوت في أشكاله

فالرأس رأس والذبول ذبول!!

كفكف دموعك فالجراح عزاً ونا

ودم الشهادة في الدجى قنديل

واصعد إلى قمم الصراع فإننا

فوق الرواسي الشامخات نصول³

1. المقادمة، إبراهيم، (دون تا)، ديوان لا تسرقوا الشمس، مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بالتعاون مع شركة أمجاد، 52.

2. هارون هاشم رشيد، (1956)، عودة الغرباء، بيروت: منشورات المكتب التجاري الحديث: 256.

3. مفلح، محمود، (1991)، نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: 103.

ينظر الشاعر إلى الشهادة نظرة المتعمق في أسرار الوجود، فهي ليست مجرد موت أو انتهاء حياة، بل هي عبادة خالصة وقربى صادقة إلى الله، وهي مصباح ينير ظلمة الغافلين والمتخاذلين (ودم الشهادة في الدجى قنديل)، لذلك فهو يرفض البكاء والدموع والأحزان (كفكف دموعك فالجراح عزأونا)، ثم يطلب من الجميع الصعود إلى قمة الصراع لمواجهة الأعداء، فإما نصر وإما شهادة.

حصار البحث

قد تناول محور الشهادة حيث أكد على قيمتها ومعانيها السامية. وقد أعطى للشهيد صورة خالدة وشخصية ثائرة تسير بين الثوار وتتدد بالمحتل كي يشحن همة المناضلين ويبث روح الأمل والمثابرة فيهم. ويظهر في لغة شعره تأثره بالتراث الديني، حيث وظف الآيات القرآنية وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد أن يمنحها روية الخاصة.

الشهادة بمعنى بداية خطوة، لذلك انهم احياء بيننا، يخرج الشعر من بين اصابعهم ومن صدورهم وشعاع عيونهم. الشعر المقاومة هو الإثارة النخوة الرجولة في القلوب الثوار ضد الظلم والاضطهاد ولهذا يكون مليئة بالحركة والنبض الانساني. ان الشعر العربي المعاصر مليء باللوحات والمشاهد الشعرية الرائعة للشهداء، محتضنة حكاياتهم، زاخرة بالمعاني والمضامين القيمة متنوعة في الاساليب والقوالب، فيقصد الشاعر من وراء حديثه عن الشهيد هو تكريم الشهيد والشهادة واشغال نار الحماسة المتاجرة في صدور الثوار للثأر والانتقام من الظلم والطغيان وتخليد سيرهم وملاحمهم وبطولاتهم.

المآخذ

- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دارصادر.
- أحمد إبن فارس إبن زكريا، أبو الحسين، (1994م)، معجم المقاييس في اللغة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ارباب، محمد حسن، (1376ش)، الملامح الثابتة، طهران: سورة للطباعة.
- امين بور، قيصر، (1968م)، تنفس الصبح، طهران: سروش للطباعة، الطبعة الثانية.
- التميمي، أبو النصر، (1994)، ديوان أوفياء الكروم.
- تقفي، طاهره، (1385)، شعر المقاومة، صحيفة رسالت 5893، تاريخ 85/3/31.
- جمال الدين إبن منظور، أبو الفضل، (دون تا)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- ديجز، ديويذ، (1388)، اساليب نقد الادبي، ترجمة: محمد تقى صدقياني و غلامحسين يوسفى، الطبعة السادسة، طهران: علمي للطباعة.
- الزبيدي، محمد، (1996)، تاج العروس، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1.
- سارتر، ژان بل، (1348)، ما اللادب؟، ترجمة: ابوالحسن نجفي، طهران: كتاب الزمان.
- شهريار، محمد حسين، (9731).الديوان. الطبعة: 21. طهران: زرین ونگاه للطباعة: 1184.
- طوقان، ابراهيم، (2005)، ديوان اشعار ابراهيم طوقان، بيروت: دار العودة.
- طوقان، فدوى، (1978)، الأعمال الكاملة (قصيدة حمزة)، بيروت: دار العودة.
- عبد البديع، عراق، (2002)، صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر، عكا: مؤسسة الأسوار، ط.1.
- عيسى، سليمان، (1980)، الاعمال الكاملة، بيروت: دارالشورى، چاپ اول.
- غني، كمال، (1994)، شروخ في جدار الصمت، رسالة شهيد، غزة: آفاق للطباعة والنشر والتوزيع.
- فريد طهماسي، (1387)، اشعار المنتخبة، دفتر الشعر يسمى ب «پري بهانه ها»، سوره المهر للطباعة.

- القاسم،سميح، (1993م)، الأعمال الكاملة للشاعر سميح القاسم، الكويت: دارسعاد الصباح.
- كاخي، مرتضى، (1387)، ابلغ من الصمت، طهران: آگاه للطباعة، الطبعة التاسعة.
- كاشاني، سبيده، (1373)، ربيع الزاهرة، من مجموعة الخطاب المؤلف، وزارة الثقافة الايرانية.
- ماجد الدجاني، (1999)، قمر على شباكنا، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ط. 1.
- محجز، خضر، (1995)، اشتعلات على حافة الأرض، القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
- محمد ججوح، خضر، (1997)، سهيل الروح، مركز العلم والثقافة، النصيرات.
- المحمود، يوسف، (1989)، زغاريد على بوابة الصباح، اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
- مصطفى، خالد علي، (1986)، الشعر الفلسطيني الحديث، العراق: دارالشؤون الثقافية العامة، ط.2.
- مفلح، محمود، (1991)، نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- المقادمة، إبراهيم، (دون تا)، ديوان لا تسرقوا الشمس، مجلس طلاب الجامعة الإسلامية بالتعاون مع شركة أمجاد.
- نجفي، ابوالحسن، (1356)، دور الادب، طهران: مرواريد للطباعة.
- هارون هاشم رشيد، (1956)، عودة الغرباء، بيروت: منشورات المكتب التجاري الحديث.
- الهيجاوي، باسم، (1992)، ليالي الدم والسوسن، دون. ط.
- يحيى زكريا، الأغا، (دون تا)، إضاءات من الشعر الفلسطيني المعاصر.
- صحيفة الاطلاعات، الثلاثاء، يوم 27 ذي القعدة 1435. 23 سبتمبر 2014. الرقم 25978.